المؤتمر العلمي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

المكلا
20-21 ديسمبر 2016م

المؤتمر العلمي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة
من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين

مكانةُ حضرموتَ في سجلِّ التاريخِ معروفةٌ، لكنَّها لم تَنلْ حظَّها منَ العنايةِ بالصورةِ التي تستحقُّها، وهي منطقةٌ خصبةٌ للدراساتِ التاريخيةِ، وإذا تجاوزْنا المرحلةَ التاريخيةَ المتعلقةَ بمملكةِ حضرموتَ القديمةِ، فإنّ تاريخَ حضرموتَ في العصرِ الإسلامي، درجَ ضمنَ تاريخِ الدولةِ العربيةِ الإسلامية، بوصفِها جزءًا منْها، ولم يصلْنا مؤلفٌ محليٌّ قبلَ تلكَ المرحلة، إلا منذُ القرنِ السادس الهجري، عندما بدأ التدوينُ التاريخيُّ بمؤلفاتٍ تعدُّ الآنَ منَ المفقودات، لكنَّها كانت مُهمةً لمن جاء بعدَها منَ المؤرخين، وقد اتبعتْ هذه المؤلفاتُ على نُدرتِها الأسلوبَ الكلاسيكي، الذي يعتمدُ في التدوينِ على أسلوبِ التأريخِ بالحَوليات، أو بتراجمِ الأعيان، والتأريخ للمدن، واستمرتْ هذه الطريقةُ إلى بدايةِ عشرينياتِ القرنِ الماضي، عندما ظهر روادُ كتابةِ التاريخِ الحضرمي، الذين جمعوا بين الأساليبِ القديمةِ والحديثةِ في الكتابةِ التاريخية.

ويضم هذا الكتاب الأبحاث التي شاركت في المؤتمر العلمي الأول لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ، وعندما نقولُ المؤتمرُ الأول، هذا يعني بأن المركز، وضعَ في خططِه القريبة والمتوسطة، تنظيمَ مؤتمرات قادمة، بالعنوانِ العامِّ ذاتِه: (التاريخ والمؤرخون الحضارمة) إن شاءَ اللّه يتم نشرها تباعا.

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

توزيع: دار الوفاق للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية-الرياض
هاتف: 00966114041561

المؤتمر العلمي الدولي الأول

(التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس

حتى القرن التاسع الهجريين)

المكلا 20 - 21 ديسمبر 2016م

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٤٨) ٢٠١٧م

التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين، أوراق المؤتمر الدولي الأول الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا ٢٠-٢١ ديسمبر ٢٠١٦ م.

٤٥٦ ص، ١٧×٢٤ سم

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

توزيع: دار الوفاق للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: 00966114041561

بريد إلكتروني: dar@wefaq.net

المؤتمر العلمي الدولي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

(من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين)

المكلا 20 - 21 ديسمبر 2016م

بسم الله الرحمن الرحیم

ديوان أبي إسحاق الهمداني
مصدرًا تاريخيًا

د. أحمد هادي باحارثة
جامعة الأندلس/ صنعاء

مدخل

اختلف المؤرخون الحضارمة في حقيقة وجود شخصية الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني، وفي نشأة دولته الإباضية بحضرموت في القرن الخامس الهجري، فتشكك بعضهم في وجودها[١]، إلا أن أكثرهم على إثباتها ومن بينهم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وسعيد عوض باوزير، ومحمد بن أحمد الشاطري [٢] ومحمد عبدالقادر بامطرف[٣]، أما المؤرخ عبد القادر محمد الصبَّان في ذكر كتاب له أنه سعى في التثبت من حقيقة الشاعر، حتى استيقن منها باطلاعه على مخطوطة لكتاب آخر غير الديوان من تأليف أبي إسحاق الهمداني، هو كتاب (مختصر الخصال) في فقه الإباضية بحضرموت[٤].

وقد وقف أحد الباحثين العمانيين هو بدر بن هلال اليحمدي عند شخصية الشاعر، وناقش ما دار حوله، وحول ديوانه من شكوك، ومن ذلك جوابه عن ما ورد عن المؤرخ الحضرمي علوي بن طاهر الحداد من أن الشاعر "لا حقيقة له، وأن حكايته مفتعلة كحكايات السينما، وألف ليلة وليلة، وأشعاره قد نظمها شعراء الإباضية بزنجبار وعمان، والشيخ سليمان الباروني نفسه"[٥]، فقال اليحمدي: "هو يقصد فيما يبدو بإباضية زنجبار

---

(١) انظر تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣، ١/ ٢٤٧.
(٢) انظر أدوار التاريخ الحضرمي، محمد أحمد الشاطرى، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤، ١٢٥.
(٣) انظر الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨.
(٤) عبد الصمد باكثير شاعر حضرموت في القرن العاشر، عبد القادر محمد الصبان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، المكلا، ١٩٧٩، ٣٣.
(٥) تاريخ حضرموت ٢٦٧.

الشيخ سالم الرواحي، وبإباضية عمان الشيخ نور الدين السالمي"[١] ؛ لأن هذين الرجلين مع الباروني هم من يعود لهم الفضل في إبراز الديوان المطبوع، والتعريف بالشاعر، فكأن الحداد يتهمهم باختلاقه.

لكن اليحمدي يخبرنا أنه عثر على مخطوط للديوان يعود تاريخه إلى ما قبل ١٣٠ عامًا، أي قبل ميلاد هؤلاء المذكورين، منوهًا أنهم "لم يلتقوا في حياتهم"[٢]، وإنما استفاد الباروني من ترجمة وضعها الرجلان للشاعر فلخصها، وأضافها للديوان الذي جمعه بنفسه من نسخ متعددة، مبينًا ما قد يكون بينها من فروق، وقال اليحمدي: "إن هذا الديوان كبير جدًا يصل عدد أبياته إلى نحو ثلاثة آلاف بيت، وعدد قصائده إلى ستين قصيدة، كما أن أسلوبه متميز جدًا دال على أنه نابع من شاعر قديم، له قضية معينة يصطبغ بها كل ديوانه"[٣].

وقد ترجم له ودرس شعره الدكتور المصري شوقي ضيف، ضمن شعراء حضرموت المنتمين إلى طائفة الخوارج، فأشاد بشاعريته وقال: "يبدو أن الشعر سال على لسانه مبكرًا، مما جعله يخلِّف ديوانًا، وهو يصور فيه حياته وأحداثها تصويرًا تامًا"[٤]، كما أثنى الشاطري على شاعرية الهمداني وقال بأن "له قصائد بليغة طنانة، امتازت بالرصانة والجزالة"[٥].

---

(١) ديوان الإمام الحضرمي، إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق: بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢، ٢٣.

(٢) نفسه ٢٤.

أقدم مخطوطة متكاملة معروفة لهذا الديوان هي نسخة مغاربية يعود تاريخها إلى سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٢٦ م، وناسخها هو أحد إباضية ليبيا، وهي موجودة حاليًا في عمان، وهذه المخطوطة وغيرها لا تطلق على الديوان تسمية (السيف النقاد) ما عدا طبعة الباروني، مما يرجح أن العنوان كان من وضعه، ويقول محققه اليحمدي في دفاعه عن أصالة الديوان: "إن هذا الديوان كبير جدًا يصل عدد أبياته إلى نحو ثلاثة آلاف بيت، وعدد قصائده إلى ستين قصيدة، كما أن أسلوبه متميز جدًا دال على أنه نابع من شاعر قديم له قضية معينة يصطبغ بها كل ديوانه، وكل من له ذائقة أدبية يدرك ذلك بشكل واضح، كما أن هناك بعض المفردات مثل كلمة (عاد) وكلمة (بافلان) دالة على أنها من بيئة يمنية ". ص٢٤.

(٣) نفسه.

(٤) عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ١٧٤.

(٥) أدوار التاريخ الحضرمي ١٢٦.

وكان الشاعر قد أكثر في شعره من ذكر البلدات الحضرمية، وقد وقف محقق الديوان عند كثير منها، فلم يتعرف عليها، فأخطأ في تفسيرها أو في روايتها، ومن ذلك قول الشاعر:

وذو صبح فيها لعمرك عصبة   يطيب الثنا في مردها والأشائب

فقال المحقق: "ذو صبح لعله اسم قبيلة من القبائل، غير أني لم أجده في كتب الأنساب، كالأنساب للسمعاني، أو جمهرة أنساب العرب لابن حزم"(١)، والصحيح أن (ذو صبح) منطقة حضرمية معروفة بواديها، و"كان بها كثير من الإباضية" كما يقول ابن عبيد الله السقاف (٢).

وفي القصيدة نفسها يقول الشاعر:

وكم في مدود أو تريس وأختها   حبوض وبور من أباضي راغب

وما من شك أن المقصود بمدود قرية (مدودة) المعروفة، فاختار المحقق روايته بتغيير مدود إلى مديد، وتريس إلى نرس، فالأولى موضع بالحجاز والأخرى بالعراق، بينما السياق يدل على أن المذكورات كلها بلدات حضرمية متجاورة، تؤيده روايات النسخ التي عرضها المحقق نفسه (٣)، لكنه لم يتعرف عليها، فأخطأ في اثنتين، وسكت عن الثالثة وهي (بور)، فلم يعلق عليها، بل لم يوردها في فهرس الأماكن، وكأنه ظن أنها صفة لما ذكر من قرى بالبوار.

وفي الصفحات الآتية نرى كيف تعامل ثلاثة من مؤرخي حضرموت مع ديوان الهمداني في اتخاذه مرجعًا لكتبهم التاريخية؛ ولبعض ما جاء فيها من أخبار وأعلام، وهم: عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في كتابه (إدام القوت بذكر بلدان حضرموت)، وسعيد عوض باوزير في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي)، وعلي بن صالح الحامد في كتابه (تاريخ حضرموت).

---

(١) ديوان الإمام الحضرمي ٩٦، وانظر ٢٨٣.

(٢) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥، ٥٨٧.

(٣) ديوان الإمام الحضرمي ٩٧.

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى ابن عبيد الله السقاف

عرفنا أن المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٩٥٧) يقر بوجود شخصية أبي إسحاق الهمداني بوصفه شاعرًا، وإمامًا للإباضية والإباضيين في حضرموت[١]، وأنه عاش في القرن الخامس الهجري[٢].

ولأن "الشعر السياسي يمثل حضورًا واسعًا في ديوانه"[٣] فقد اتخذ ابن عبيد الله شعر أبي إسحاق مرجعًا له في موسوعته التاريخية والجغرافية (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)؛ فرأيناه قد استشهد بكثير من أشعاره على ما شهده عصر الشاعر من دول وأعلام وأحداث، ومن بين ذلك استشهاده عند الحديث عن منطقة حجر التي تعرف بحجر بن دغار بقول أبي إسحاق [٤]:

سيعلم دغار بن أحمد والفتى — سلالة مهدي وكل مخالف

إذا نزل المستنصرون بجحفل — يهزون بيضًا كالبروق الخواطف

فقال ابن عبيد الله: "الظاهر أنه أبو حجر الذي ينسب إليه هذا الوادي"[٥]، أي وادي حجر.

وأشار إلى شخصية تدعى (سويد بن يمين)، ملاحظًا كثرة ذكرها في شعر أبي إسحاق، فقال: "لسويد بن يمين ذكر كثير في شعر إمام الإباضية إبراهيم ابن قيس"[٦]، ولكنه لم يأتِ بمثال من شعره، وهو يشير إلى مثل قوله [٧]:

---

(١) إدام القوت ٥٢٦ و٨٦٢.

(٢) نفسه ٩٥.

(٣) شعر الإمام أبي إسحاق الحضرمي.. دراسة فنية، خالد حيدرة محمد الوحيشي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، ٢٠٠٧.

(٤) ديوان الإمام الحضرمي إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢، ٢٨٧.

(٥) إدام القوت ٩٥.

(٦) نفسه ١٠٣٥.

(٧) ديوان الإمام الحضرمي ٢٦٦.

سويد الذي أيام كنت بدوعنٍ سقى السيف حتى مجدته المجالس
فكيف يغيب اليوم عني انتصاره وهأنذا فِي دَارِه اليومَ جَالسُ
فيا ابن يمين زادك الله رفعةً أيغشى الكرى عينيك والحق طامسُ

وأورد أبياتًا من شعره دلَّل بها على مناطق وجود الإباضية وانتشارها بحضرموت(١)، وبأبيات أخرى على كثرة علمائهم في عهد الشاعر، ولاسيما في مدينة شبام(٢)، تلك الأبيات هي قوله(٣):

فقلتُ وَمَا يُبْكِيكَ يا خود؟ لَا بكت لك العين ما هبت رياحٌ زعازعُ
فقالت بكيت الدِّينَ إذ رثَّ حبله وللعلما لما حوتهم بلاقعُ
فأين الألى إن خوطبوا عن دقائق من العلم أنبوا سائليهم وسارعوا
فقلت لها هم في شبام، ومنهم بميفعة قوم حوتهم ميافعُ
وفي هينن منهم أناس، ومنهم بذي أصبح حيث الرضا والصمادعُ
ومنهم بَوادِي حضرموتَ جماعة وأرض عمانَ سيلهم ثم دافعُ

كما استشهد ببعض شعره على محطات مختلفة من حياته، ومن بينها لجوء أبي إسحاق إلى قبيلة بني سهل في منطقة هينن(٤)، حيث يقول(٥):

فيا لبني سهل أضفتم جماعتي وآويتموني يوم خرب موطني
وصرت مليكًا فيكم متمكنًا كنينًا حصينًا مكرمًا غير هين
سوى أنني يا قوم لم أقضِ حاجة لديكم ولا عاينت أمرًا يسرني
فإن تنصروني فالرجية منكم وإن تعجزوا قابلتُ أرضًا تعزني

(١) انظر إدام القوت ٨٢ و٥٨٧ وغيرها
(٢) نفسه ٥٢٦
(٣) الديوان الإمام الحضرمي ٢٨٢
(٤) إدام القوت ٤٥٧
(٥) الديوان الإمام الحضرمي ٤٥٩

ولم يكن ابن عبيد الله يقبل بكل ما يورده الشاعر في ديوانه على علاته، بل وجدناه يسلط حسَّه النقدي التاريخي لبعض ما يذكره أبو إسحاق في ديوانه؛ فلم يكن يسلم لكل ما يورده من أخبار عن بطولاته في معاركه مع خصومه، بل لا يراه صادقًا في ما يذكره في شعره عن خضوع حضرموت لسلطته، وانتصاراته على الصليحي، ويرى أنه كان يحتال بذلك الاختلاق لأخبار انتصاراته على أئمة عمان الإباضيين؛ ليستدر مساعدتهم له، وقال في هذا الصدد: إن إمام الإباضية إبراهيم بن قيس كان يراوغ أئمة عمان، ويستدر منهم المعونة والمئونة بزعم أنه يزاحف الصليحي، وهو غير بار في قوله:

وأمـا نَـواحِـي حـضـرمـوت فـإنَّـهـا ... بـحـولِ إلَـهِـي طـوعُ أمـري كـخَـاتَـمِـي

ولـم يـبـقَ لـي إلا الـصـلـيـحي قـائـمًـا ... وهـا هـو أيـضًـا سـعـده غـيـر قـائـم

وقـد نـزعـت عـنـه الـقـبـائـل قـصدنـا ... لـمَّـا نـظـرت مـن رغـمـهـا في الـمـآثـم

وإنما كان الأمر بالعكس، وما نجاه من براثن الصليحي إلا هربه ولياذه بـ(تجيب)، وخضوعه لهم، وتملقه إليهم... فلقد جاءهم بجريعة الذقن فأجاروه، وأجاز الصليحي جوارهم إياه"[(١)]، ويستدل على هذا بأشعار أبي إسحاق السابقة التي يتحدث فيها عن لجوئه لبني سهل.

وقد توسع الناقد المؤرخ سعيد عوض باوزير بعد ابن عبيد الله السقاف، في الاستعانة بشعر إبراهيم بن قيس، بوصفه الشاهد الوحيد على حياة الشاعر وعصره، في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي)[(٢)].

(١) إدام القوت ٥٣٧، وانظر الأبيات في ديوان الإمام الحضرمي ٣٩٩

(٢) انظر الكتاب في الصفحات ٦٦ - ٧٩

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى سعيد عوض باوزير

تناول باوزير تاريخ حياة أبي إسحاق الهمداني وعصره، الذي هو من أشد فترات التاريخ الحضرمي حلاكة، وأشدها جهالة، وشحة فى المصادر والمعلومات، فكان ديوان هذا الشاعر هو السراج الوحيد الذي حاول به باوزير إضاءة جوانب من حياته وصورة عن مجتمعه، وفي هذا يقول باوزير: "الديوان هو المرجع الصحيح لتاريخ الرجل؛ ففيه يتحدث عن مبدأ أمره ومنتهاه، وعمَّا جرى له بين ذلك من أسفار، وحروب، وضعف، وقوة، وما يتصل بذلك كله من وصف للبلاد والناس والحوادث"[١]، وقال: "سنحاول أن نمضي في عرض تاريخ الرجل قدر الإمكان، مستندين إلى شعره الذي ليس في أيدينا من تاريخ غيره"[٢].

لقد عاش هذا الشاعر في القرن الخامس الهجري، وأمثال هؤلاء الشعراء الموغلين في القدم مهما بذل من يصورهم من جهد فإن صورهم تظل ناقصة، ومن ثم كان لابد لمن يحاول إعطاء صورة عن حياتهم "أن يستعين بخياله في تصويرهم؛ ليستكمل به ما محاه الزمن من حياتهم، فإن حياتهم تبدو كتماثيل مهمشة، ولابد من يد صناع كي تعيد تكوينها"[٣]، وهو خيال مقيد بواقع النص الصادر عن الأديب قد يستخدمه المؤرخ في شرح العلاقات الغامضة بين الجمل والفقرات، والإشارات التاريخية للنص، ثم الإشارات المتعلقة بحياة الكاتب نفسه، حالة كون النص مرتبطًا بحياته "[٤] كما هو حال ديوان الهمداني.

شرع باوزير يصوب نظراته لديوان الهمداني يتتبع قصائده ويستخلص من بين أبياتها مراحل من حياة الشاعر، وعلاقته بعصره، راضيًا في بعض الوقائع والأحداث بالوضوح في تناول الشاعر لها في شعره، فها هو الهمداني مثلًا يتحدث في مواضع من شعره عن نسبه

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، مكتبة الثقافة، عدن، د ت، ٧٠.
(٢) نفسه ٧٣.
(٣) في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت، ٦٣.
(٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ٧٣.

وموطنه ومذهبه، حيث يقول [1]:

فَإن تَسْأَلَا عَنِّي وَعن أَهْلِ مَذْهَبِي ... وَعَنْ أَيْنَ دَارِي أَنتِ يَا أَمَ حَازِمِ
فَإِنِّي مِن هَمَدانَ أَصْلِي وَقُدْوَتِي ... فَمِرداس والأوطان أرض الحَضارمِ
أَنا الرجلُ الدَّاعِي إلى الحق والذي ... أبت نفسه شتمَ الطُّغاةِ الأَشَائِم
أَنا الرجلُ الشَّارِي الذي باعَ نَفْسُه ... وَأَصْبَح يَرجُو الموتَ عند التَّصَادمِ

والعجيب أن باوزير لم يقف على إشارة الهمداني لنوع مذهبه الخارجي الذي تعددت فرقه، مع أن هذا يعد من صميم ما كان ينبغي له عمله في الاستفادة من شعر الهمداني، في وصف معتقده الذي هو جزء مهم من شخصيته، ويظهر ذلك بالمقارنة مع الدكتور شوقي ضيف الذي وقف عند تلك الأبيات فقال: "هو في الأبيات يصرح بأنه حَضرمي، من همدان، وأنه أخلص نفسه للدعوة الإباضية، ويصف نفسه بأنه من الشُّراة، وقد سمى الخوارج أنفسهم بهذا الاسم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وهو يعلن أنه باع نفسه لربه والدعوة لنحلته، وأصبح يطلب الموت والاستشهاد في سبيلها حتى يفوز برضوان الله"[2].

ومن ذلك حديثه عن تثبيت ملكه بحضرموت ضد خصومه المحليين، بمساعدة من سلطان عمان، فيقول ممتنًا لتلك المعونة العسكرية ومع حققه بواسطته من نصر[3]:

وَسَاروا بِحمد الله حَولي كَأَنَّهم ... بدورٌ ولكن في الوغى كالضراغم
فما كان إلا جمعة بعد جمعة ... وأدَّت إلي العُشْرِ أهل الحَضَارِم
سَل الخُطَبَا لما دَعَوا لك جَهْرةً ... عَلى رُغم أَهلِ الجور بعد التَّصادمِ

(١) ديوان الإمام الحضرمي ٤٥٠.

(٢) عصر الدول والإمارات (٥) ١٧٤، ومرداس المذكور هو أبو بلال مرداس بن حدير أحد أعلام الإباضية، قتل سنة ٦١ على يد الأمويين، انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ٧/ ٢٠٢، ويقصد الشاعر هنا أنه اتخذه قدوة له، انظر الديوان بتحقيق اليحمدي ٤٥٠.

(٣) ديوان الإمام الحضرمي ٣٩٨.

وسَـلْ عـربَ البيـداءِ هـلَّا أَذقْتَهُـم | عَشِيَـةَ خَـانُوا العـهدَ سـم الأَراقِـم
وأمـا نَـواحـي حضرمـوت فإنهـا | بحـول إلـهي طـوع أمـري كخَاتَـمِي

كما أشار إلى حديثه عن حروبه مع جاره المنافس علي بن محمد الصليحي، حيث يقول متحدثًا عن استقواء الصليحي ضده بحلفائه الفاطميين في مصر:[١]

يخوفنـي أن المَعَـدَّ ملاذه | بمصر ومـا خـوفي لأهـل المظالم
إذا وفـده ولَّـى إلـى مصر رائـدًا | مضـى وفـدُنـا لخير المَعَالِـم

وقد روى باوزير البيت الأول بكلمة (المعز) بدلًا من المعد، ومن ثم ظن أن الشاعر سمى الخليفة الفاطمي المستنصر (المعز)[٢] ربما على سبيل الغلط أو ما شابه، بينما المقصود هو المعد، وهو اسم هذا الخليفة أي مَعَدّ بن علي، والعجيب أن الدكتور شوقي ضيف أورد الرواية نفسها وعلق عليها بقوله: "واضح أنه سمى المستنصر خليفة مصر حينئذ المعز، كأنه لا يعرف لقبه الحقيقي"[٣]، فيبدو أن كليهما أخذ من طبعة ورد فيها ذلك الخطأ الطباعي، وقد روى مصححًا في النسخة المحققة[٤]، إلا أن المحقق أخطأ في ضبط الكلمة من حيث الحركات فجعلها على زنة المعز (المُعِد)، والصواب ما أثبته.

والمقصود بخير المعالم في البيت الثاني الإمام العماني الخليل بن شاذان، وهنا يأتي إشكال تاريخي وقف باوزير إزاءه، ليقارن بين ما ورد في ديوان الشاعر الحضرمي، وما سطرته كتب تاريخية عمانية؛ وهو كما يقول: "إن المعروف في التاريخ أن الخليل بن شاذان إمام عمان الذي استنجد به أبو إسحق على الصليحي توفي سنة ٤٢٥هـ، وأن حركة الصليحي إنما بدأت في اليمن سنة ٤٢٩ هـ، يعني أنه يجب أن يكون الخليل على قيد الحياة إلى ما بعد هذا التاريخ؛ ليصح استنجاد الهمداني به على الصليحي.

(١) نفسه ٤٠٠.
(٢) صفحات من التاريخ الحضرمي ٦٩.
(٣) عصر الدول والإمارات (٥) ١٧٥.
(٤) ديوان الإمام الحضرمي بتحقيق اليحمدي ٤٠٠.

وقد رجعت إلى كتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) لأبي محمد السالمي، فوجدت المؤلف لا يقطع بأن وفاة الخليل كانت سنة ٤٢٥ هـ بالضبط، وإنما كان يحكي على سبيل الترجيح فقط، ولذلك يبقى هناك أمل في حل هذا الإشكال بأن يقال مثلًا بأن ترجيح صاحب تحفة الأعيان يحتاج إلى إعادة نظر، وأن من المحتمل أن يكون الخليل قد عاش إلى ما بعد ذلك التاريخ لينتفي التعارض"[١]، وهذا الإشكال واحتمال حله الذي أورده باوزير أكدَّه المحقق العماني بدر اليحمدي، ونوه به قائلًا: "هذا هو الأسلوب الأمثل في حل الإشكاليات التاريخية، وليس التشكيك والرفض، ومن هنا استجاب المؤرخون العمانيون للدعوة المنطقية لإعادة النظر في تاريخ وفاة الخليل"[٢]، فعثر بعضهم على وثيقة تؤكد تأخر فترة الخليل إلى زمن الشاعر "وحلت الإشكال الذي كان مخيمًا على المؤرخين"[٣].

لكننا نجد باوزير يقف في أحايين كثيرة وقفة الحيران من اقتضاب كثير من أبيات قصائد ديوان أبي إسحاق الهمداني، أو غموض إشاراتها إلى أحداث أخرى في حياة قائلها، أو إلى أشخاص ذوي نفوذ عاصرهم، مثل حديثه عن رجل من سادة كندة أعانه في تثبيت سلطانه بحضرموت، وذكر عنه قوله[٤]:

فَفِي الشرق قد أضحى الهدى بعد ذلة ... عزيزًا بملك راجحِ الحلمِ حَازِم
حميٍّ حمي الأنف شهمٌ غَشَمْشَم ... أخي نجدة صعب صليب الشَّكَائِم
تردى ردًا عزٍّ وجود فكفه ... محل المنايا والعطايا الجسَائِم
أبي الفضل عباس بن معن بن حوشب ... ذرا المجد كندة العليا الملوك القماقم

هو عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، مولده ووفاته في عمان، مؤرخ وفقيه، من كتبه (تحفة الأعيان في تاريخ عمان)، توفي سنة ١٩١٤، أعلام الزركلي ٤/ ٨٤.

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٠.
(٢) الديوان بتحقيق اليحمدي ٣٠.
(٣) نفسه ٣١.
(٤) ديوان الإمام الحضرمي ٤٥٦.

أقــمــت سنـيـنًـا قـبـل ألــقــاه لاهـيًـا   أقــاســي عُـــداةَ الــحـق مــر الـعـلاقـم
فـلـمَّـا الـتَـوَتْ كـفـي بـيـمـنـاه أخـمـدت   عــســاكــره بــالــرغـم نـــار الـمـخـاصـم

فقال باوزير: "لا نعرف عن هذا الملك الكندي أكثر مما ذكره أبو إسحاق"[١]، وليس هذا أمرًا غريبًا على الشعر الذي غالبًا ما يميل إلى الإيجاز، ويكتفي "بالمقدمات دون النتائج، وعكس ذلك أيضًا، مائلًا بذلك إلى الرمز والإشارة واللمحة دون التصريح والتفسير"[٢] خلافًا للأسلوب النثري، ولم يكن هذا الأمر عازبًا عن فكر باوزير؛ فنجده يطيب خاطر حس المؤرخ في نفسه حيث يقول: "إن ديوان أبي إسحاق حافل بتاريخ حياته، ولا ينقصه سوى الشرح والإيضاح لبعض الحوادث، حيث يضيق الشعر عادة بهذه المهمة، ويتكفل بهذا النثر وحده"[٣].

وباوزير بطبيعة الحال لا يكتفي في تتبع سيرة الهمداني على ديوانه فحسب، بل نراه يعود لمراجع تاريخية مساندة، سواء ما كان منها لمؤلفين حضارمة أو عمانيين [٤]، ولربما قارن بينها وبين الديوان في بعض المعلومات، ومن ذلك ما أشرنا إليه سلفًا من أن الشاعر قد استعان بالسلطان العماني الخليل بن شاذان في حروبه ضد خصمه الصليحي الذي بدأ نفوذه بالصعود في اليمن سنة ٤٢٩، بينما لاحظ باوزير أن بعض المصادر العمانية (تحفة السالمي) تفيد بوفاة الخليل قبل ذلك بسنوات وبالتحديد سنة ٤٢٥، لكن باوزير رجح تأخر وفاته عن هذا التاريخ استنادًا إلى شعر الهمداني، وعدم قطعية التحديد لسنة الوفاة في المرجع العماني التاريخي[٥].

---

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٦، ويرجح ناشر الديوان الباروني ومحققه اليحمدي أن يكون أحد قواد الهمداني أو معاونيه في حروبه لاستتباب الأمر له. انظر تحقيق اليحمدي ٨٥.

(٢) الأسلوب، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، ١٩٣٩، ٦٥.

(٣) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٣.

(٤) فمن المراجع الحضرمية كتاب بضائع التابوت لابن عبيد الله السقاف وهو مخطوط، وكتاب جني الشماريخ لعلوي بن طاهر الحداد، ومن المراجع العمانية كتاب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان لأبي محمد السالمي، كما استفاد من مقدمة سليمان عبد الله الباروني (١٨٧٠-١٩٣٨) للديوان.

(٥) انظر ص٧٠، ونوه بملاحظته اليحمدي في تحقيقه للديوان ٣٠.

لقد كان سعيد عوض باوزير يتتبع ديوان الهمداني بذهنية المؤرخ، وليس بذائقة الناقد الأدبي؛ لذا لم يقف على أي نواح جمالية فيما أورده من نصوص استنطقها أخبارًا تاريخية محضة، ولا يضيره ذلك في شيء في وقت لم يعد فيه بوسع المؤرخين أن يتجاهلوا النتاج الأدبي على شتى مستوياته إذا أرادوا استرداد صورة عصر ما أو مجتمع ما من ذمة الماضي"[١].

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى صالح بن علي الحامد

أفرد صالح بن علي الحامد الشاعر الهمداني بترجمة في تاريخه عن حضرموت، مع أنه من المتشككين في حقيقة وجود شخصيته في القرن الخامس؛ وأرجع ذلك إلى "عدم ذكر التاريخ الحضرمي لها، وعدم إشارته إليها، بل تواريخ اليمن أيضًا"[٢]، ومستأنسًا برأي المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في رسالة بعثها له [٣] ؛ لذا رأيناه يغفل ذكر شعره في تناوله لأدب القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولم يتمثل به بوصفه نموذجًا لحال الأدب والشعر في الأدب الحضرمي فيهما، لكنه مع ذلك أورد نماذج شعرية متفرقة من ديوان الهمداني بوصفه مصدرًا يستشهد به في ترجمة شخصيته، وفي ذكر بعض حوادث عصرها، حيث قال: "إن ما استقينا ما نرويه ورويناه عنها بواسطة تاريخ عمان، وبواسطة ما نشره الشيخ سليمان الباروني من شعر هذا الرجل، وهو ديوان السيف النقاد" [٤].

وقد عاد الحامد لديوان الهمداني في موضعين من تاريخه؛ عند عموم حديثه عن نشاط الإباضية في القرنين الرابع والخامس الهجريين في خضم الحضور العلوي بحضرموت منذ وصول جدهم أحمد بن عيسى المهاجر إليها في القرن الرابع الهجري، وقد لاحظ أن الديوان قد خلا من "ما يشير إلى العلويين إشارة تخصهم غير الإشارة إلى مناوئيه وأعدائه

(١) بين الأدب والتاريخ، د قاسم عبده قاسم، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، ٦

(٢) تاريخ حضرموت ١/ ٣٧٩.

(٣) نفسه ٢٦٧، وانظر تعليق عبد الرحمن جعفر بن عقيل حول استدلال الحامد برسالة الحداد، صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٦، ٢٥١.

(٤) نفسه ٣٨٢.

بالتعميم"[1]، ومع ذلك جعل نهوض هذا الشاعر من آثار النهضة التي رأى أن جده أحمد بن عيسى المهاجر قد بعثها بحضرموت آنذاك، فقال: "الظاهر أن أدبه وثقافته كانت بعد نتائج النهضة العلمية بحضرموت التي بعثها العلويون، وغذوها بكل ما أوتوا من قوة، فانتشرت وشملت بخيرها الموالي والمخالف" [2].

والموضع الآخر عندما أفرده بالترجمة مع عدد من أعلام حضرموت في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس، موردًا مقتطفات من أشعاره عن تأصيل نسبه وحضرميته وعن استعانته بأئمة عمان ورحلاته إليها، وعن معاركه بوادي حضرموت ومن ذكره خلالها من أنصاره وخصومه، كل ذلك بإيجاز واقتضاب شديد، يلفه حذر التشكيك الذي يملأ نفس الحامد في شخصية الشاعر التي نعتها بالمستغربة لسكوت التواريخ الحضرمية السابقة عنها[3].

وقد تولى الأستاذ كرامة بامؤمن مناقشة الحامد في تشككه بشخصية أبي إسحاق، فقال: "كي لا ينقض هذا الغزل والحبك التاريخي لحالة حضرموت من جمود إلى نهضة، ومن شوكة للإباضية، ثم تلاش وانقراض؛ فقد شكك الأستاذ صالح علي الحامد صاحب هذا الحبك في حقيقة ظهور دولة للإباضية في شبام، بإمارة الشاعر إبراهيم بن قيس الحضرمي الإباضي"[4]، لكننا رأينا الحامد وإن تشكك في الهمداني إلا أنه لم يغفل ذكره، بل وضع حياته وإمارته في الاعتبار، فلم يسقطه من سياق عرضه للحوادث أو التراجم، وكان يعود في ذلك لديوان الشاعر، وللمصادر المعروفة التي تناولت حياته وإمارته.

لكن بامؤمن في الوقت الذي أخذ فيه على الحامد تشككه في الهمداني وإمارته، نجده هو نفسه يقع في التشكيك، وذلك حينما لم يساعده السياق التاريخي الذي أراد

---

(١) نفسه ٢٥٠، وقد لاحظ أحد الباحثين ذلك الإغفال، وعلق عليه بقوله: "هل معنى ذلك ضعف العلويين في أحداث التاريخ الحضرمي آنذاك، أم أن هجرة جدهم الأول لم تتحقق في القرن الرابع الهجري كما يذهب البعض؟"، انظر إباضية حضرموت من القرن الثاني إلى القرن السابع للهجرة، عبد الكريم محروس سعيد ميزان، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم التاريخ، المكلا، ٢٠١٥.

(٢) تاريخ حضرموت ٢٥٠.

(٣) نفسه ٣٧٩.

(٤) الفكر والمجتمع في حضرموت، كرامة مبارك بامؤمن، دار التيسير، صنعاء، ١٤٨.

أن يصور به حضرموت في حديثه عن الدور التاريخي الذي أطلق عليه صفة السني، فنجده تارة يقول: "أما ما قيل عن عودة الروح للنفوذ والفكر الإباضي في حضرموت ممثلًا في إمارة الشاعر الحضرمي إبراهيم بن قيس الكندي الإباضي فلا يعدو أن يكون تطلعًا للحكم والإمارة حققه هذا الأمير، وهذه الروح التواقة للحكم تجري في دماء أصحاب الرئاسات القبلية، خاصة الكندية منها"(١) ونلاحظ هنا خلطًا لدى بامؤمن؛ لأن الشاعر ينتسب لهمدان وليس لكندة، وهما قبيلان مختلفان وإن اتفقا في الجد الأعلى زيد بن كهلان(٢)، وتارة أخرى يقول: "هذه الإمارة إن وجدت فعلًا فهي لا تملك إمكانية استمرارها في محيط سني بحضرموت، وقد قيل إنها استعانت بدعم من حكام عمان الإباضيين خلال فترة حكمها التي لم تحدد بالضبط"(٣)، فالتعبير بفعل التمريض (قيل)، وبالجملة الاعتراضية الشرطية (إن وجدت فعلًا)، والإشارة إلى عدم تحديد فترة وجودها، والقول بعدم مناسبة وجودها في محيط سني لا يساعد على استمرارها، كل ذلك يعد تشكيكًا لا يقل عن تشكيك الحامد، وزاد عليه بعدم عودته لديوانه، ولا ذكر أي أثر ثقافي أو فكري له كشاعر أو فقيه، ولا أثر سياسي لإمارته في ذلك الدور السني لدى تأريخه للحياة العقلية والحراك الفكري الذي اعتمل فيه.

---

(١) الفكر والمجتمع في حضرموت ١٦٩.

(٢) انظر الجامع لبامطرف ٤٦٣ و٦٣١.

(٣) الفكر والمجتمع في حضرموت ١٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

- إباضية حضرموت من القرن الثاني إلى القرن السابع للهجرة، عبد الكريم محروس سعيد ميزان، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم التاريخ، المكلا، ٢٠١٥
- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥
- أدوار التاريخ الحضرمي، محمد أحمد الشاطرى، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤
- الأسلوب، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، ١٩٣٩
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢
- بين الأدب والتاريخ، د قاسم عبده قاسم، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦
- تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣
- الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨
- ديوان الإمام الحضرمي، إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق: بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢
- شعر الإمام أبي إسحاق الحضرمي.. دراسة فنية، خالد حيدرة محمد الوحيشي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، ٢٠٠٧
- صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، عبد الرحمن جعفر بن عقيل، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٦
- صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، مكتبة الثقافة، عدن
- عبد الصمد باكثير شاعر حضرموت في القرن العاشر، عبد القادر محمد الصبان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، المكلا، ١٩٧٩
- عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣

- الفكـر والمجتمـع في حضرمـوت، كرامـة مبـارك بامؤمـن، دار التيسـير، صنعـاء، ط٣، ٢٠٠٦
- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د. ت
- اللانسـونية وأثرهـا في رواد النقـد العربـي الحديـث، د. عبـد المجيـد حنـون، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، ١٩٩٦